

[صقلية]

(١) ويلحق بها في حسن الحال مآ هو بيد أهل الإسلام صقلية وهي جزيرة [على شكل مثلث منساوي الساقين زاويته الحادة من غربي الجزيرة] طولها سبعة أيام في أربعة أيام [وهي في شرقي الاندلس في لبح البحر وتحاذيها من بلاد الغرب بلاد افريقية وباجة وطبرقة الى مرسى الخرز وغربها في البحر جزيرة قرشقة ومن جنوب صقلية جزيرة قوسره وعلى ساحل البحر شرقها من البرّ الأعظم الذي عليه قسطنطينية مدينة ريو ثم نواحي قلوريه]، والغالب عليها الجبال والقلاع والحصون وأكثر أرضها مسكونة مزروعة وليس لها مدينة مشهورة معروفة غير المدينة المعروفة ببلرم قصة صقلية وهي على نحر البحر وهي خمس حارات متجاورة غير متباينة يبعد مسافة وإن كانت حدودها ظاهرة بيّنة،

(٢) ومنها المدينة الكبرى المسماة بلرم وعليها سور عظيم من حجارة شامخ منبع يسكنها التجار وفيها مسجد الجامع الأكبر وكان يبعث للروم قبيل فتحها وفيه هيكل عظيم ويقول بعض المنطقيين أن حكيم يونان يعني ارسطوطالس في خشبة معلق في هذا الهيكل الذي قد اتخذ المسلمون مسجداً وأن النصارى كانت تعظم قبره وتستنفي به لما شاهدت يونان عليه من إكباره وإعظامه قال والسبب في تعليقه بين السماء والأرض ما كان الناس يلاقونه عند الاستسقاء والاستشفاء والأمور المهمة التي

٢-٣ [على شكل الجزيرة] مأخوذ من معجم البلدان لياقوت ج. ٣ ص. ٤٠٩
فيما نقله عن ابن حوقل برسم (صقلية)، ٢-٨ [وهي في قلوريه] مأخوذ كذلك
من معجم البلدان ج. ٣ ص. ٤٠٩، ٦ (قرشقة) - في معجم البلدان (قرشقة)،
(قوسره) - في معجم البلدان (قوسرة)،

توجب الفرعة الى الله تعالى والتقرّب اليه في حين الشدة وخوف الهلكة وعند وطي بعضهم لبعض وقد رأيتُ خشبة يُوشك أن يكون هذا القبر فيها،

(٢) وتجاهها مدينة تُعرف بالخالصة ذات سور من حجارة وليس اكسور بلرم يسكنها السلطان وأتباعه وفيها حمامان ولا أسواق فيها ولا فنادق وفيها مسجد جامع صغير مقصد وبها جيش للسلطان ودار صناعة للبحر والديوان ولها أربعة أبواب من قبورها ودبورها وغربها وشرقها البحر وسور لا باب له، وحارة تُعرف بحارة الصقالبة وهي أعمر من المدينتين اللتين ذكرتهما وأجل ومرسى البحر بها وبها عيون جارية بينها وبين صقلية [٢٥ ظ] ومياه كالحمد بينهما، وحارة تُعرف بحارة المسجد المعروف بابن سقلاب وهي كبيرة أيضاً وليس بها مياه جارية وشرب أهلها من الآبار وعلى طرفها الوادي المعروف بوادي عباس وهو عظيم كبير ومطاحنهم عليه كثيرة وبساتينهم وأجنتهم غير مُنتفعة به، والحارة الجديدة وهي كبيرة تفارب حارة المسجد وليس بينهما فرق ولا فاصلة ولا عليها ولا على حارة الصقالبة سور، وأكثر الأسواق فيما بين مسجد ابن سقلاب والحارة الجديدة كسوق الزياتين بأجمعهم والدقاقين والصيارفة والصيادنة والمحدادين والصياقلة وأسواق القمح والطرارزين والسماكين والأبراريين وطائفة من النصايين وباعة البقل وأصحاب الفاكهة والريحانيين والجزارين والمخبازين والمجدالين وطائفة من العطارين والجزارين والأساكفة والديباغين والنجارين والغضائريين والمخشائين خارج المدينة وبلرم طائفة من النصايين والجزارين والأساكفة وبها للنصايين دون المائتي حانوت

١ (الفرعة) - (المرعة)، ١١ (كبيرة) - (كبيرة)، ١٢ (الصيادنة) - حط (الصيادنة)، (المحدادين والصياقلة) - حط (المخززين والصياقلة والنصايين)، (الطرارزين) - (الاطرارين)، ١٧-٢٠ (الطرارزين).... والمخشائين) يوجد مكان ذلك في حط (وكذلك سائر الصناعات على اختلافهم) فقط،

لبیع اللحم والقليل منهم في المدينة برأس الساط ومجاورهم القطنون
والحلاجون والحذاؤون وبها غير سوق صالح، وبدل على قدرهم وعددهم
صفة مسجد جامعهم بيلرم وذلك أتى حزرتُ المجتمع فيه إذا غصن بأهله
بلغ سبعة آلاف رجل وثيقاً لأنه لا يقوم فيه أكثر من ستة وثلاثين صفاً
للصلاة وكل صفت منها لا يزيد على مائتي رجل،

(٤) وبصقلية من المساجد في مدينة بلرم والمدينة المعروفة بالمخالصة
والحارات المحيطة بها من وراء سوريهما عامرة / أكثرها قائمة على عروشها
بجيطانها وأبوابها نيف وثلاثمائة مسجد يتواطأ أهل الخيرة منهم في علمها
ويتساوون في معرفتها وعددها وبظاهرها مما حفت بها ولاصفها وبين أجنحتها
وأبراجها ومحال كانت متصلة بالأقرب فالأقرب منها على الوادي المعروف
بوادي عباس ومجاورة للمكان المعروف بالمعسكر في ضمن البلد متبعدة
في فحس عباس وبعضها في أثر بعض إلى المنزل المعروف بالبيضاء قرية
تُشرف على المدينة وبينهما نحو نصف فرسخ وقد خربت هلك أربابها
بما دار عليهم من الفتن يعرف ذلك جميعهم غير مختلفين في مقدارها وإنما
تزيد على مائتي مسجد، ولم أر هذه العدة من المساجد بكان ولا ببلد من
البلدان الكبار التي تستولى على ضعف مساحتها شيئاً ولا سمعت من يدعيه
إلا ما يتذكرة أهل قرطبة من أن بها خمس مائة مسجد ولم أقف على
حقيقة ذلك من قرطبة وذكرته في موضعه على شكٍ مني فيه وأنا محققه
بصقلية لأنني شاهدتُ أكثره، ولقد كنتُ وإفقا ذات يومٍ بها في جوار دار
أبي محمد عبد الواحد بن محمد المعروف بالفصيح الفقيه الوثائقي فرأيتُ
من مسجد في مقدار رمية سهمٍ نحو عشرة مساجد يُدركها بصرى ومنها
شيءٌ تُجاه شيءٍ وبينهما عرض الطريق فقط، وسألتُ عن ذلك فأخبرتُ
أنَّ القوم لشدة انتفاخ رؤوسهم كان يجب كل واحدٍ منهم أن يكون له
مسجد مقصور [٢٥ ب] عليه لا يشركه فيه غير أهله وغاشيته وربما كانا

١ (والقليل) - (والقليل)، ٤ (وثلاثين) - (وثلاثون)، ١١ (بالمعسكر) -

(بالمعسكر)، ١٢ (نحو نصف فرسخ) - حط (نحو من فرسخ)،

أخوان منهم متلاصقة دارها منصافة المحيطان وقد عمل كل واحد منهما مسجداً لنفسه ليكون جلوسه فيه وحده، وفي جملة هذه العشرة المساجد التي ذكرتها مسجداً يصلى فيه أبو محمد ابن الفنصق هذا وبينه وبين دار ولد له يتنقه دون الأربعين خطوة وقد ابنتى ابنه مسجداً الى جانب داره وهو أحد حدودها الأول جديداً مُعْتَقَ الباب أبداً ويحضر أوقات الصلاة وهو جالس في دهليز داره المجاورة الملاصقة لمسجده فلا يصلى فيه، وكان رغبته كانت في ابتناؤه أن يقال مسجد الفقيه بن الفقيه وهو حَدَّثَ له من نفسه محلّ عظيم وخطر جسم وكأنه لعظم خطره عند أنه يُظَنُّ أبو أيه أو أنه بغير أبٍ لِإِسْوَاهِ وَصَلْفِهِ | وحين ركبته وزية وفي هذه الأربعين خطوة التي ذكرتُ بين مسجده ومسجد أبيه مسجداً آخر مُعْتَقَ له إمام وفيه مكتب،

(٥) وبها رباطات كثيرة على ساحل البحر مشحونة بالرياء والنفاق والبطالين والنساق متمردين شيوخ وأحداث أغثاء رثاء قد عملوا السجادات مُنْتَصِيِينَ لِأَخْذِ الصَّدَقَاتِ وَقَذْفِ المَحْصَنَاتِ نَقْمَ مُتْرَلَةٍ وَبِلَايَا شَامِلَةٍ وَخُتُوفِ مَصْبُوبَةٍ مَنْصُوبَةٍ وَأَكْثَرِهِمْ يَقُودُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَرَى ذَلِكَ لِشِدَّةِ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ وَأَكْثَرِهِمْ بِالزُّورِ تَطَوُّعًا يَشْهَدُونَ مَعَ جَهْلِ لَا يَفْتَرِقُ فِيهِ بَيْنَ فَرَضِ الوُضُوءِ وَسُنَّتِهِ وَيَقْصِدُهُمْ مِنْ أَعْوَزَةِ المَكَانِ لِبَطَالَتِهِ وَالمَوْضِعِ لِعِبَارَتِهِ فَيُؤَوِّنُهُ وَرَبَّمَا شَارَكُوهُ بِتَأْفِيهِ مِنَ المَأْكُولِ عَلَى أَحْوَالِ يَقْبَحُ ذِكْرُهَا وَلَيْسَ هَذَا الكِتَابُ مِمَّا يُذْكَرُ فِيهِ مِثْلُهَا، وَأَحْسِبُ تَأْسِيسَهَا كَانَ عَلَى غَيْرِ التَّقْوَى حَسْبَ مَا أُسِّسَتْ عَلَيْهِ المَسَاجِدُ المُنْتَقِمَةُ ذِكْرُهَا فَهَارَتْ وَبَادَ أَهْلُهَا بِمَا جَنَّوْهُ مِنَ الفتن والعصيان وشق عصا السلطان والله أعلم،

(٦) وَكُنْتُ ذَكَرْتُ أَحْوَالَ المَخَالِصَةِ وَأَبْوَابِهَا وَمَا فِيهَا وَلَمْ أَذْكَرْ بَلُّزْمِ وَهِيَ

١ (أخوان) - (أخوين)، ٤ (دون الأربعين) - (بنحو عشرين)،
 ٨ (خطره) - (خطرها)، ٩ (يُظَنُّ) - (يُظَنُّ)، ١٨ (لعبارته) - (لعبارته)،
 (فيؤونه الى آخر القطعة) يوجد مكان ذلك في حط (ولمّا أووا الى هناك
 لعجزهم وعدم السكى ومهانة أنفسهم) فقط،

المدينة القديمة وأشهر أبوابها باب البحر وسمي بذلك لقربه من البحر
ويليه باب أحدثه أبو الحسين أحمد بن الحسن بن أبي الحسين لشكوى
أهل هذه الناحية بعد مخرجهم فعله على نشزٍ مطلي على نهر وعين تدعى
عين شفاء وبها يعرف هذا الباب وقتنا هذا ولما قرب منه مرفق بهذه
العين، ثم باب يعرف بشتغاث وهو باب قديم وإليه باب يعرف باب
رُوطه ورُوطه نهر كبير يهبط من هذا الباب إليه وأصله تحت هذا الباب وفيه
ماء صالح عليه أرحبة كثيرة متقاطرة، ثم باب الرياض وهو أيضاً مُحدث
استحدثه أبو الحسين أحمد بن الحسن وكان بجواره باب يعرف باب
قرب في موضع غير حصين وكانت المدينة قوتلت عليه قديماً فدخل
على أهلها منه معرة وضرر جسم فسده أبو الحسين وأزاله وبجواره باب
الأنباء وهو أقدم أبوابها وإليه باب السودان تجاه الحدادين ثم باب
الحديد ومنه المخرج إلى حارة اليهود وإليه باب استحدثه أبو الحسين
أيضاً ولم يُسمَّ باسمٍ ويُخرج منه إلى حارة أبي جبين وجميعها تسعة أبواب،
وهذه المدينة مستطيلة ذات سوق قد أخذ من شرقها إلى غربها [٢٦ ظ]
يعرف بالسماط مفروش بالحجارة عامر من أوله إلى آخره بضروب التجارة
ويطيف بها عيون كثيرة منصبة من غربها إلى شرقها ويكون مقدارها
ما يُدير رَحَى وعلى مائها غير رَحَى تَطْحَن في غير مكان ويجاور مصب
ماء هذه العيون من حيث بدو مسيلها إلى حيث مصبها في البحر أراضٍ
كثيرة تغلب عليها السباخ وآجام فيها قصبٌ | فارسيٌّ وبجائر ومفاتيح صالحة
وفي خلال أراضيتها بقاعٌ قد غلب عليها البربير وهو البرديّ المعول منه
الطوامير ولا أعلم لما بمصر من هذا البربير نظيراً على وجه الأرض إلا ما

- ٢ (أبو الحسين) - حَط (أبو الحسن)، (الحسن) - (الحسن)، ١٠ (أبو
الحسين) - حَط (أبو الحسن)، ١١ (الحدادين) - حَط (باب الحدادين)،
١٢ (أبو الحسين) - حَط (أبو الحسن)، ١٣ (أبي جبين) - حَط (أبي حمزة)،
١٧ (رَحَى) - (رَحَا) وفي حَط (رحون)، (مائها) تابعاً لحَط وفي الأصل (بابها)،
١٨ (إلى حيث) - (إلى حين)، ٢١ (لما) - (بها)،

بِصِفِّهِ مِنْهُ وَأَكْثَرُهُ يُقْتَلُ حَبَالًا لِمَرَاثِي الْمَرَآكِبِ وَأَقْلَهُ يُعْمَلُ لِلسُّلْطَانِ مِنْهُ
طَوَامِيرُ الْقِرَاطِيسِ وَلَنْ يَزِيدَ عَلَى قَلَّةِ كِفَايَتِهِ،

(٧) وَشَرِبَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَهَمُ الْمَجَاوِرُونَ لِسُورِهَا مِنْ نَحْوِ بَابِ الرِّيَاضِ
إِلَى نَحْوِ عَيْنِ شِفَاءٍ مِنْ مِيَاهِ هَذِهِ الْعَيُونِ وَبَاقِي أَهْلِهَا وَأَهْلُ الْمَخَالِصَةِ وَجَمِيعِ
أَهْلِ الْحَارَاتِ شَرِبَهُمْ مِنْ أَبَارٍ دَوْرَهُمْ خَفِيفًا كَانَ أَوْ ثَقِيلًا مِنْ الْمَاءِ وَيَلْتَدُّ
لَهُمْ عَلَى كَثْرَةِ الْمِيَاهِ الْعَذْبَةِ الْجَارِيَةِ عِنْدَهُمْ وَذَلِكَ لِكثْرَةِ أَكْلِهِمْ الْبَصَلِ،
وَشَرِبَ أَهْلُ الْمُعْسَكِرِ فَمِنَ الْعَيْنِ الْمَعْرُوفَةِ بِالغَرِبَالِ وَمَاؤُهَا صَالِحٌ وَبِالْمُعْسَكِرِ
عَيْنٌ تُعْرَفُ [بِعَيْنِ النَّسْعِ دُونَ الْغَرِبَالِ فِي كَثْرَةِ الْمَاءِ وَعَيْنٌ تُعْرَفُ] بِعَيْنِ
أَبِي سَعِيدٍ دُونِهَا وَعَيْنٌ تُعْرَفُ بِعَيْنِ أَبِي عَلِيٍّ وَكَانَ مِنْ بَعْضِ وَلَائِهِمْ فَهِيَ
مُضَافَةٌ إِلَيْهِ وَشَرِبَ النَّاحِيَةَ الْمَعْرُوفَةَ بِالغَرِيبَةِ فَمِنَ الْعَيْنِ الْمَعْرُوفَةِ بِعَيْنِ
الْحَدِيدِ وَهَنَّاكَ مَعْدِنٌ لِلسُّلْطَانِ مِنَ الْحَدِيدِ يَصْرَفُ مَا يُسْتَشَارُ مِنْهُ لِحَاجَتِهِ
فِي مَرَآكِبِهِ وَفَرَسِيَّاتِهِ وَكَانَ هَذَا الْمَعْدِنُ لِنَبِيِّ الْأَغْلَبِ يُجَدِّي عَلَيْهِمُ الْكَثِيرَ
[وَهُوَ بِقَرْبِ قَرْيَةٍ تُعْرَفُ بِلَهْرَا وَفِيهَا عَيُونٌ وَأَنْهَارٌ تَنْتَجِرُ مِنْهَا وَهِيَ تَمْدُّ
وَادِي عَبَّاسٍ وَتَقْوِيَهُ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْبَسَاتِينِ وَالْكَرُومِ]، وَبِحَيْطِ الْبَلَدِ عَيُونٌ
غَيْرُ مَشْهُورَةٍ وَيُتَنَفَّحُ بِمِيَاهِهَا كَالْفَادُوسِ فِي نَاحِيَةِ الْقِبْلَةِ وَبِهَا الْفَوَارَةُ
الصَّغِيرَةُ وَالْفَوَارَةُ الْكَبِيرَةُ عَلَى أَنْفِ الْجَبَلِ مِنَ الْبَلَدِ وَهِيَ أَغْزَرُ عَيُونِهِمْ
مَاءٌ وَتَنْصَرَفُ هَذِهِ الْمِيَاهُ إِلَى أَجْتَمِهِمْ، وَلِقَرْيَةِ الْبِيضَاءِ عَيْنٌ حَسَنَةٌ تُعْرَفُ
بِالْبِيضَاءِ وَتَصَاقِبُ الْغَرِبَالِ وَالغَرِيبَةَ وَشَرِبَ النَّاحِيَةَ الْمَعْرُوفَةَ بِبِرْجِ الْبَطَّالِ
مِنَ الْعَيْنِ الْمَعْرُوفَةِ بِعَيْنِ أَبِي مَالِكٍ وَأَكْثَرُ مِيَاهِ الدُّبُورِ مِنْ أَرَاضِي الْمَدِينَةِ
لَأَجْتَمِعُ فِيهَا السُّوَانِي، وَلَهُمْ أَجْنَةٌ كَثِيرَةٌ الْخَيْرِ وَبَسَاتِينٌ أَعْدَاءُ مَجُوسٍ لَا تُسْقَى
كَالشَّامِ وَأَكْثَرُ مِيَاهِ الْبَلَدِ وَالْحَارَاتِ مِنَ الْأَبَارِ ثَقِيلَةٌ غَيْرُ مَرْتَّةٍ وَإِنَّمَا
صَرَفَهُمْ إِلَى شُرْبِهَا رَغْبَةً عَنِ شُرْبِ الْمَاءِ الْجَارِيِ الْعَذْبِ قَلَّةُ مَرُورَاتِهِمْ
وَكَثْرَةُ أَكْلِهِمْ لِلْبَصَلِ وَفَسَادُ حَوَاسِهِمْ بِكَثْرَةِ تَغْدِيهِمْ بِالنَّبِيِّ مِنْهُ وَمَا فِيهِمْ مِنْ

٧ (وبالمسكر) - (وبالمسكر)، ٨ [بعين ... وعين تعرف] مستم عن خط،

(النسج) وفي حل (بالسج)، ١٢ (وقرسطياته) - (وقرسطياته)، ١٢-١٤ [وهو ...

والكروم] مأخوذ من خط،

لا يأكله كل يوم أو يؤكل في داره صباح مساء من سائر طبقاتهم وهو الذي أفسد تخيلهم وضرر أدمغتهم وحبّر حواسهم وغير عقولهم ونقص أفهامهم وبلد معارفهم وأفسد سحنة وجوههم وأحال أمرجنهم حتى رأوا الأشياء أو أكثرها على خلاف ما هي به،

(٨) | ومما يؤيد قولي ويشهد ببرهانه ما حكاه يوسف بن إبراهيم الكاتب في كتاب أخبار الأطباء عند نزوله بدمشق على عيسى بن الحكم وهو المسيح المطيب قال ذاكرته بالبصل فلم يزل في ذمّه ووصف معائبه وكان عيسى وسلويّه بن بيان يسلكان طريق الرهبان ولا يجمدان شيئاً يزيد [٢٦ب] في الباءة ويقولان أنّ ذلك يُتلف الأبدان ويُذهب الأنفس فلم أستحسن الاحتجاج عليه بزيادة البصل في الباءة فقلت قد رأيتُ منه في سفرى هذا منفعة فسأل عنها فقلت إني كنتُ أذوق الماء في بعض المناهل فأجد كريباً فأكل البصل وأعود شربته فأجد حاله قد نقصت وكان عيسى قليل الضحك فاستضحك من قولي ثم استرجع بجزع منه وقال يعزز عليّ أن يغلط مثلك هذا الغلط لأنك صرت إلى أسبح نُكنة في البصل فجعلتها منفة يا هذا أليس متى حدث بالدماع فساد فسدت الحواس حتى ينقص حسن الشمّ وحسن الذوق والسمع والبصر فقلت أجل فقال إنّ خاصية البصل إحداث فساد في الدماغ وإنما قلّ حسك للوحة الماء وكرهيته ما أحدثه البصل في دماغك من الفساد، وهذه قضية عقلية فأما نتيجتها فليس بالبلد عاقل ولا فاضل ولا عالم بالحقيقة بفن من فنون العلم ولا ذو مروّة ولا متدين والغالب عليه الرعاع وأكثر أهله سُقاط أوضاع لا عقول لهم ولا دين كامل وأكثرهم برقعان وموالي يدعون ولا قوم افتنحوها وقد هلكوا،

(٩) | وحدثني غير إنسان منهم أنّ عثمان بن الخزاز ولي قضاءهم وكان ورعاً قد ركن إلى قوم منهم في العدالة والشهادة ووقف آخرين عن قبولهم

٤ (الأشياء) - (الافاء)، ٧ (المسيح) - (المسيح)، ٨ (الرهبان) - (البرهان)،

فرفعت اليه امرأة اعتورتها مطالبة في دارها باطلة فسالها البيعة وادعت ملك اليد الى شهود وشهادات معها واحضرتهم عنده فاستزادها شهودا وكان يسكن الى شهادة ابي ابراهيم اسحق بن الماجلي المعلم وكان له بامرها علم وسأته إقامة الشهادة وهو يتكل عنها الى أن ضمن له رشوة ربايعات على أدائها فشهد لها بذلك واتفق أن عثمان بادر بامضاء تنفيذ الحكم بشهادة اسحق وعمل على التسجيل لها بذلك وطلب اسحق ما ضمنته المرأة له فدفعته وأبت أن تعطيه ما ضمنته له ظنا بحقها وثقة أن الشهادة قد قامت وأنها لا تحتاج الى اسحق ولا غيره واحضر الحاكم اسحق ليلدا بشهادته على نفسه بإنفاذ الحكم للمرأة بشهادته فقال أعز الله الحاكم هذه الشهادة أنا راجع عنها لأمر قد أشكلت على منها وكان الحاكم قد حفظ على اسحق في الشهادة ما لا يجوز معه الرجوع فاستراب قصته وكشف عنها بالفحص الشديد فظهرت له القصة على وجهها فكان لا يقبل شهادته ولا شهادة غيره وخرج جماعتهم وأسقط شهادتهم، وصارت أكثر أحكامه جارية على الصلح وشك فيهم فلم تشه اليهم رغبة ولا رهبة الى أن هلك بينهم وحضرته المنيعة فقال ليس بجميع البلد من يوصى اليه ودفع ديوانه الى رجل كان بها من الغرباء يعرف بالفضائري من أهل القيروان وكان يزكبه وظهرت هذه القصة لأهل البلد فكانت إحدى وسائل ابن الماجلي في إجلائهم واختيارهم له وتصويره حاكما عليهم وخطيبا لهم رغبة من بعضهم في مظهرته على ما يرجوه من الخيانة، وكان اسحق على قولهم خفيف الوزن شديد الجهل كثير الإعجاب بتخلفه غير ركيذ ولا مهيب ولا في سمت القضاة وحسبك بمعلم برقياني [٢٧ ظ] جعل قاضيا،

(١٠) وحدثنى رجل من المقيمين بها يعرف بأبي الحرث فحل بن فلاح اللهبصي ثم الكنتاي ورأيتُه يُخبر كثيرا من أخبار البلد أنه كان ورجل سمّاه بين يدي اسحق بن الماجلي بعد أن ولي الحكم بها يوما وهو في

١ (فرفعت) - (فرفعت)، ٦ (وطلب اسحق) - (وطلب عثمان)،

٢٤ (بعد أن ولي) - (بعد اولى)،

محراب الجامع جالساً ويده قضية لها في مهر وهو مقبل على قراءتها فكلمها مرّ له فصل [داوم] على تفریطه لحسن ما تأتي له من المعاني الحبيبة والشروط البديعة واستيفاء أسباب البلاغة وهما سكوت وهو مع كل فصل يفعل ذلك الى أن قام من المحراب وكان فيه متصدراً كالقضاة فجلس بين أيديهما ولم يزل يقرأه ويُعبد وصفه ويقول ما أراكما تسمعان هذه الحكومة التي ما حكم بمثلها والله أحد على وجه الأرض وأعاد قراءتها ثم رجع الى مكانه من المحراب، قال وكان ربّما مدّ يده الى الخصوم بالضرب وأخبرني جماعة منهم أن رجلاً تقدّم اليه بخصم له فراجعته في مناظرته وكان بين يديه مقصّ كبير فأخذه وأوماً به الى الرجل ليضربه في وجهه فأقبل الرجل على نعل إسحقى وكانت بين يديه فتناولها فقال ولهم مسست نعلى لنضربني بها فقال لا ولكن خشية أن تفصد بالمقصّ وجهي لأنّقى بها منك، وله أخبار كثيرة في أنواع من الجنون والحباط كان من مجانين المعلمين وحقاقم وكان من كبارهم وعلميتهم،

(١١) والغالب على البلد المعلمون والمكاتب به في كل مكان وهم فيه على طبقات مختلفة ومنازل شتى متباينة من الصراع والحباط على ما يفوق جنون معلّى كل بلد وحمقى كل ناحية حتى أنّهم المتكلمون على السلطان في سيره واختياراته والإطلاق بالقبائح من ألسنتهم بمعائبه وإضافة محاسنه الى قبائحها، وبالبلد منهم ما يقارب ثلاثمائة معلّم ولم ينقص من ذلك إلا القليل وليس كهذه العدة بمكان من الأماكن ولا في بلد من البلدان وإنّما توافرت عدّتهم مع قلة منفعتهم لفرارهم من الغزو ورغبتهم عن الجهاد وذلك أنّ بلادهم نغر من ثغور الروم وناحية تُعاد العدو والجهاد فيهم لم يزل قائماً والنبر دائماً مذ فُتحت صفليه وولاتهم لا يفترونه وإذا نفرولم يفتروا بالبلد أحداً إلا من بذل الفدية عن نفسه أو أقام العذر في تخلفه مع رابطة السلطان وكان قد سبق الرسم بإعفاء المعلمين قديماً بينهم من

٢ [داوم] مستنم على التخمين، (تأثي) - (تأثنا)، ١٧ (وإضافة) -

(وإضافة)، ١٨ (وبالبلد.... الخ) قد أختصر هذا النصّ بكثير في خطّ،

النواب وحملت عليهم المغارم ففرغ الى التعليم بلههم وحسنه لديهم جهلهم مع قلة الانتفاع به والمجدوى منه فإن فيهم الكثير تمر به السنة فلا يصيب من جميع صيانه وهم كثير عشرة دنانير فأى منزلة أفيح وصوره أخص وأوتخ من رجل باع ما أوجب الله تعالى عليه من الجهاد وشرفه والغزو وعزه بأخص منزلة وأوضع حرفة وأسقط صبيعة على أنها في أعيان البلاد مع تخرج أولاد السراة وأهل الإمكان عنصر الخذلان ومظان الحرمان وبالإجماع منهم ومن كل إنسان أن المعلم أحمق محكوم عليه بالنقص والجهل والخفة وقلة العقل، ومن أعظم الرزية وأشد البلية وأقطع النازلة أن جميع أهل صفليه لصغر أحلامهم ونقص [٢٧ ب] درايتهم وبعد أفهامهم يعتقدون أن هذه الطائفة أعيانهم ولبابهم وفقهاؤهم ومحصّلون وأرباب فتاويهم وعدولهم وبهم عندهم يقوم الحلال والحرام وتعد الأحكام وتنفذ الشهادات وهم الأدباء الخطباء، | ولقد رأيت ولداً كان لا يحق ابن الماجلي المعلم الفاضل المتقدم ذكره بخطيبهم نحو حولين يحزم الأسماء مع الصلة ويجر الأفعال من أول خطبته الى آخرها، وخاطبت أديباً كان من أهلها يسعى ويدعى الدراية بجميع الأحوال وقد نصب هذا الخطيب ما لم يُسم فاعله أو رفع منصوباً وأظنه كان منغولاً به فقلت أما سمعت الخطيب وما كان منه وذكرته له وقد ذهب عني اللفظ فقال كأنه والله يا سيدي كما تقول غير أننا نحن لا نأبه لمثل هذا،

(١٢) ومن كباثر المذكورين من المعلمين بها في السير والعدالة وهو بالضد للغباء والجهالة وأشدّهم تقدماً عندهم أبو عبد الله محمد بن عيسى ابن مطر المعلم في مسجد الزهري بالسماط وقد سافر بشرق ودخل المشرق وكتب الحديث، وأبو الحسن علي بن بانه المعروف بابن ألف سوطر وهو اليه في العدالة ويراها قوم منهم فوفه في العلم والنفه وظلف النفس وكلاهما غيبي عم ناقص رزي المنظر والخبر، وحدثني أبو عبد الله محمد بن عيسى

١٢ (الصلة) - (الصلة)، ١٥ (الدراية) - (الدارية)، ٢١ (بشرق)

على التخمين وفي الأصل (ترق) أو (نرق)، ٢٤ (عم) - (عيسى)،

المعروف بالناشي القروي المتكلم وكنا معاً بصقلية قال بينا أنا واقفاً بالسماط
بفرب مكتب ابن مطرٍ أحدث إخواناً لي إذ وقف بهم ابن مطر فسلموا
عليه وسلم عليّ فرددتُ عليه وأخذ في صفتي وما أعتقه بأقبح عبارةٍ
وأشع لفظٍ وإشارةٍ وقال في خلال قوله لي يعزز عليّ بُعدك عن الحق
فقلتُ لعن الله أبعدنا عن الحق وأقلنا علماً به فالتأت لونه وتغير فقال
له القوم قد أنصنك لأنه إنما لعن الأبعد من الحق ولم يقصد إلا الأقل
علماً بالله فقال الست عراقي المذهب فقلتُ لا وذلك أن أهل العراق
يُدعون مُرجئةً وإنما وُسِموا بذلك لتركهم القطع على أهل الكبائر
بالخلودِ وأخذتُ أصف المسئلة بيننا وبينهم فقال ما أرى قولكم إلا قريباً
من قولنا فقلتُ يا هذا إنما أصف لك رأى أهل العراق المذموم عندي
وأنا ضدُّهم فقال وكيف فقلتُ نحن نقطع على تخليد أهل الكبائر في النار
فقال ما ظننتُ يقول بهذا غير أهل العراق وهو بجهله صباح مساء يكفروهم
في كلِّ منعَد ومشهد ويكثر المعتزلة ولا يعلم اعتقادها بين الفرقتين التي
هي أشهر أهل المذاهب ويُطلق اللعن عليهما وهو لا يفرق بين الوعدي
من المرجئي وهذه المنزلة أعلى منازل البله ورحم الله نافلاً فلقد ظلمه نَفْلَةٌ
الأخبار بنقطعهم عليه بالانفراد بالجهل، وكنتُ جالساً بصقلية يوم الجمعة
عشر خلون من رجب سنة اثنتين وستين على دُكان المعروف بابن
الانطاكي في سماط بُلرم وكان يوماً مطيراً في الساعة السادسة وعلى القيام
إلى الجامع وابن الانطاكي معاً والجامع منا على غلوة [٢٨ ظ] إذ أقبل ابن
ألف سوط من نحو الجامع ومنزله بالقرب منه فقلنا إلى أين فقال قد
صلى الناس وأنا أمضى أتقدم لأشهد جنازة الخطيب وكان ابن الماجلي
الخطيب الذي قدمتُ ذكر تخلفه تُوَفِّي ليلة الجمعة هذه ومضى يريد باب
البحر وأطال ثم رجع وقد أتسنا من الصلاة فقلنا إلى أين فقال بلغني
أنهم ما صلوا بعدُ فعدتُ لعلِّي ألحق الصلاة ومضى فبقينا حيارى في أمره
نتعاود فلةً تحصيله وما يُدفعُ الناس إليه في شهادة مثله إذ أقبل فقلنا

٤ (بُعدك) - (ببُعدك)، ١٥ (نافلاً) - (بَافلاً)، ١٦ (بقطعهم) - (ينقطعهم)٤

هيه فقال قد صلوا وأنا ماض لأصلي في المصلى وهذا الرجل عندهم أثبت القوم عدالة وأشنتهم منزلة وهذه صورته،

(١٢) | وأكثرُ عنه وعن ابن مطيرٍ وجماعتهم وإصفاً قلةً فطنهم وكرالاً أفهامهم وحدةً جهلهم وسرعة طيشهم وموت يفظنهم وبراعة لوئمهم مع دوام غفلتهم وبشاعة تعاطيهم وكثرة معائبهم وسخف أغذيتهم المؤكدة جهلهم وسوء تخليهم في كتاب | جعلته أبواباً عشرة بدأت منها بذكر ما يتناخر به أهل الأمصار والقبائل والبلدان وما يلحفهم من النضائل وكيفية لحاقها بالكور والمدن والريائل المقصرة ببعضها عن الفخر والطيب والحسن ووسسته بكتاب صقيه ولم أترك لهم من فضيلة ورذيلة إلى جميع ما خصوا به ومنعوه وأعطوه وما حرّموه إلى غاظ طباعهم وسوء أخلاقهم وما انفردوا به من المطاعم المتننة والأعراض القذرة الدرنة وغلبة كثرة الجفام وطول المراء وسيت جميع معلمهم إلى ما وصل إلى من أخبارهم ومحلهم في الرفاعة وخلعهم على مرّ الأيام للسلطان والطاعة وحال الفرقة التي ليست كفرقة من فرق الإسلام ولا نحلة من النحل ولا في بلد من البلدان ولا بدعة من البدع ولا مشاكلة لنحلة في دين من الأديان، وهم المشعبدون أكثر أهل حصونهم وباديتهم وضياعهم رأبهم التزويج إلى النصارى على أن ما كان بينهم من ولدٍ ذكرٍ لحق بأبيه من المشعبدين وما كانت من أنثى فنصرانية مع أمها لا يصلون ولا ينظفرون ولا يذكرون ولا يجعون وفيهم من يصوم شهر رمضان ويفتسلون إذا صاموا من الجناية وهذه منقبة لا يشركهم فيها أحدٌ وفضيلة دون جميع الخلق أحرزوا بها في الجهل قصب السبق، ولقد أعددت كتابي هذا بذكرهم فيه ولكن نفوس أهل النبل وقلوب أهل الفضل متطلعة إلى علم الكل وذكرها في الخزائن منزلة ليست على ما هي به في الحقيقة،

(١٤) | ومن آرت ما رأيتُ بها وأغثه خمسة معلمين في مكتبٍ واحدٍ

٢ (وأكثر) - (وعن أكثر)، ٢-٦ (وأكثر... كتاب) يوجد في حط مكان هذه الفقرة (وقد وضعتُ فيهم كتاباً فيه جميع أخبارهم)، ٢١ (أعددت) - (عددت)،

يعلمون فيه الصبيان شركاء متشاكسون على باب عين شفاء يرؤسهم شيخ يعرف بالبطاط جيسّ ضيسّ أشقر أزرق من أقدم الناس على شهادة زور وولدان له ورجل يعرف بابن الوداني وآخر يدعى بأخي رجاء على مراتب في شركتهم، وخرجت من صفليه وقد مات ابن الوداني فلو شاهدتم أكثر الناس حزناً وأشدّهم إخبائاً وسَمّاً عند وفاته [٢٨ ب] وتنجعهم له وحببتهم عليه وتساكرم في بكائهم عند عزائم لفهقه وضحك أو أبلس لجهلهم كالمرتبك،

(١٥) وأما حال يسارهم فإتهم مع قلة مؤنهم ونزور نفقاتهم وكثرة غلاتهم ليس فيهم رجل ملك بدرة عين ولا رآها قط إلا عند سلطان إن كان ممن يدخل اليه ومحله محل من يؤذن له عليه، وبالأموال والجبايات واليسار يعتبر أحوال أهل المدن والكور والأقاليم وكذلك النبل والفضل الى غير ذلك مع أن مال جزيرة صفليه وقتنا هذا وهو أجل أوقاتها وأكثره وأغزره بأجمعه من سائر وجوهه وقوانينه خبثها ومستغلاتها ومال اللطف والجوالي المرسومة على الحجاج ومال البحر والهدية الواجبة في كل سنة على أهل قلوريه وقبالة الصبود وجميع المرافق وجهاتها وهذه جملة ارتفاعها.....، فأما غلاتها وخصبها وما هي عليه في أسباب المآكل والمشارب فكالماضع المشار اليها في صدر الكتاب بالخصب والسعة قديماً وفيما مضى ودخلتها وقد استحال جميع أمورها من الخصب الى الجذب وخلق أربابها من أهل باديتها فكأرباب الجزائر العجم الغتم الصم البكم وسكانها الذين لم يصفهم الأسفار من وراء بهيمية غامرة لألبابهم وغفلت عن الحقوق والمواجب ظاهرة في معاملاتهم وقول من الحق بعيد وشنان للغريب والطارئ عليهم عظيم شديد لا يألون ولا يؤلّون آخذين لذلك عن حاضرهم لأنهم أيضاً في بغض التجار والغرباء المجهزين بمنزلة

٦ (لفهقه) - (لفهقه)، ١٢ (خبثها) - (خبثها)، ١٤ (الحجاجم) -

(الحجاجم)، ١٦ (.....) يوجد هنا في الأصل سطر خالي لإدراج مبلغ الارتفاع،

١٩ (وخلق) - (وخلق)،

لبست لجيل من أجيال العالم الجفافة ولا في أهل الجبال الأجلاف الجساة
مع قوام مصالحهم بالجلالين وقرهم وفاقهم الى المسافرين لأنها جزيرة لم
تختص بوجه من فضائل البلدان غير القمح والصوف والشعر والخمر
وصباية من القند الى شيء من ثياب الكنان والحق فيها أحق أن يتبع فإنه
لا نظير لها جودة ورخصاً وبيعاً مستعملها مما يقطع قطعين من الخمسين
رباعياً الى ستين رباعياً فيزيد على ما يشتري من أمثاله بمصر بالخمسين
والستين ديناراً كثيراً، وجميع ما تقع اليه الضرورات وتدفع الحاجة اليه
من سائر الطلبات محبوب الى بلدهم ومحمول الى جزيرتهم، وقد جمعت مع
فساد عقول أهلها وأديانهم فساد التربة والقمح والحبوب ولا يحول الحول
عليها عندهم إلا وقد فسدت وربما ساست في الأنادر قبل دخول المظالمير
والأهراء وليس يشبه وسخهم في دورهم وسخ أقدار اليهود ولا ظلمة منازلهم
وسوادها سواد الأثابين والأفران وأجلهم منزلة يسرح الدجاج على مفعة
وتذرق الطيور على مصلاه ومخدته،
(۱۶) وهذه جمل من أوصاف المغرب وما استقل به مما يضاف اليه
ويقع في جملته،